Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السيرة الذاتية : من الطفولة إلى الشباب

كتب عبد المجيد بن جلون سيرته الذاتية عام 1957 وسنه يقارب الأربعين، وكان ذهابه إلى إنجلترا، وهو صبي، عام 1919 على الأرجح، فيما يمكن الجزم بأن عودته النهائية منها إلى المغرب كانت عام 1927، وتنتهي السيرة الذاتية، كما قدمنا، بذهابه إلى القاهرة، وهو في آخر العقد الثاني من عمره عام 1937 . وهكذا يبدو أن السيرة الذاتية لم تستغرق من حياة الكاتب سوى ثمانية عشر عاما (1919 / 1937)، وأنه لم يشرع في كتابتها إلا بعد انقضاء أحداثها بعشرين سنة بعد ذلك.

وسنأخذ هذه المؤشرات الزمنية كقاعدة لبحث بنية السيرة الذاتية انطلاقا من مرحلتين أساسيتين : الطفولة والشباب.

الطفولة

تبدأ مرحلة الطفولة، كما لاحظنا، منذ الوصول إلى مانشستر، وتستمر ردحا، إلى أن تنتهي في مرحلة أخرى، ربما كان دخول الطفل إلى (القرويين) وتقدمه في طلب العلم، آخر مراحلها. وتشعرنا الكتابة السيرذاتية أن النظر إلى الطفولة يمكن أن يُرى بمعنين: تلك التي تبدو في لجة الغيب، أو خارج الإدراك والفهم، فلا تصل إليها الكتابة، ولا يبلغها التذكر. إنها مرحلة لاوعية إذا شئنا التقدير. ولا يحار عبد المجيد بن جلون في تفسير مجرى هذه الطفولة اللاواعية، ولا يقارب حضورها المفترض أو غيابها الحقيقي. وقد رأينا كيف أن المختار السوسي، على وجه الخصوص، اختار وجه التحقيق، فاستنجد بمن أخبروه عنها، لإقامة الحجة على عناصرها الرامزة لبداية الحياة الفردية، من زاوية توثيق تاريخ الميلاد. ويبدو أن المختار السوسي هنا كان يرمي إلى تقديم جميع البيانات الضرورية، وفي وعيه أن مفهوم (المحاسبة) الثاوي خلف كتابته وتحقيبه يشترط ذلك من الناحية الدينية إذا جاز القول، حتى يكون الكتاب (السيرة الشخصية) مستوفيا لعناصر (التحقيق) متى ما أزف يومه. أما عبد المجيد بن جلون فقد كان أكثر تحررا، وربما لم يكن معنيا، وهو يكتب سيرته الذاتية، إلا بالتعبير عن شعوره الذاتي إزاء ماضيه من خلال ما يعيه منه، أو يحتفظ به عنه . أنظر إليه يقول: «... وإنما قصدت أولا إلى إرضاء رغبة في نفسي» (ص 278)، ففي ذلك ما يُفهم القارئ، كما يريد له، أن الكتابة السيرذاتية قد تتحلل من كل شيء إلا ما تستشعره الذات من امتنان في الاستذكار. موقف يتلاقى، على نحو ما، مع شعور الفقيه (محمد الجزولي) بذاته وحنينه إلى ماضيه، رغبة في الاستلذاذ والترويح عن النفس.

ومرحلة الطفولة اللاواعية هذه هي مرحلة الغموض، كما يقول المؤلف، تتشابه بين جميع الخلائق، ولا فائدة ترجى من ذكرها أو التحقق من مغزاها في مجرى التطور